ثمن عشرين قتيلاً

طبيب الأسنان غير المؤهل و المبكر في "أوريليو اسكوفار "و كالطير فتح ..بزغ يوم الاثنين دافئاً و بلا مطر ثم أخرج بعض أسنان صناعية مازالت مركبة في قالب المصيص من ..عيادته في الساعة السادسة ,يقظته و كان ..كما لو كانت للعرض ..و وضع على المنضدة مجموعة أدوات رتبها حسب الحجم ,الدولاب الزجاجي و كان مستقيم العود نحيل ..و بنطلوناً معلقاً بحمالة ,أقفل حول الرقبة بمشبك ذهبي ,يلبس قميصاً مخططاً بلا ياقة ..و كانت هيأته أقرب إلى هيئة رجل أصم ,لا تبدو عليه مسحة المهنة ,الجسم

و لما فرغ من ترتيب الأدوات فوق المنضدة جذب المثقب إلى قرب كرسي الأسنان و جلس لصقل الأسنان ,بيد أنه راح يواصل العمل و هو ينفخ كور الثقب بقدميه ,لقد بدا أنه لا يفكر في العملية التي يقوم بها ..الصناعية .حتى و هو لا يحتاج إلى ذلك

فرأى طائرين من الجوارح يجففان ,و عندما بلغت الساعة الثامنة توقف برهة لكي ينظر من النافذة إلى السماء و ما لبث أن استأنف عمله متوقعاً أن يعود المطر إلى ..نفسيهما في الشمس على إفريز سطح البيت المجاور إلى أن قطع عليه تركيزه صوت ابنه الحاد البالغ من العمر احدى عشرة سنة يناديه ..الانهمار قبل موعد الغداء :و لدى سؤاله قال له ..

..العمدة يريد أن يعرف إذا كان يمكن أن تخلع سنه –

قل له انني غير موجود –

و عندئذ انبعث صوت ..ثم امسك بها على قيد ذراع و فحصها بعينين نصف مقفلتين ..و أخذ يصقل سناً مذهبة :ابنه صائحاً من غرفة الانتظار الصغيرة

..!لأنه يسمع صوتك ,العمدة يقول أنك موجود –

إذ قال ,و لم يرد إلا بعد أن وضعها فوق المنضدة بجانب ما تمَّ إنجازه من الأسنان ..استمر الطبيب يفحص السن :

..الأحسن أن يسمع –

و أخذ ,من خزانة بها الأشياء التي عليه أن يتمها "كوبري "ثم أخرج عدة قطع من ..و أدار الثقب من جديد :فقال الصبي ,فسأله ماذا يريد دون أن تتغير ملامح وجهه ..و لكن ابنه ناداه مرة أخرى ..يصقل الذهب

..!فسوف يضربك بالرصاص ,قال العمدة إنك إذا لم تخلع له السن –

ثم جذب الدرج ,و دفعه على الكرسي ,توقف عن تحريك الثقب ,و بحركة جد هادئة ,و بدون ما أدنى تعجل :و قال لإبنه ..فإذا به مسدس ,الأسفل للمنضدة عن آخره

..قل له أن يدخل و يقتلني ..حسن –

أما الخد الثاني فكان ,و ظهر العمدة في المدخل و قد بدا خده الأيسر حليقاً ..و دحرج الكرسي في مواجهة الباب فقد شهد العمدة ليالي كثيرة من العذاب و المعاناة بدت آثارها في ,نبتت فيه لحية عمرها خمسة أيام ,مورماً موجعاً ..عينيه المتبلدتين

..اجلس :و قال بليونة ,أغلق الطبيب الدرج بأنامله
..صباح الخير :فقال العمدة
فرد الطبيب بنصف السلام

:و كانت العيادة متواضعة ..مال العمدة برأسه على المسند حتى شعر بتحسن ,و بينما كانت أدوات الخلع تغلي و أمام النافذة ستار لا يعلو عن ارتفاع ..و دولاب زجاجي به قناني خزفية ,و المثقب ,بها كرسي خشبي عتيق ..شد على عقبيه و فتح فمه ,و عندما شعر العمدة باقتراب الطبيب ..الكتف

و بعد أن فحص السن المصابة أقفل فك ..أن أدار رأس العمدة إلى ناحية الضوء "أوريليو اسكوفار "و ما لبث :و قال ..العمدة بضغطة محاذرة من أصابعه
..لابد من الخلع بغير مخدر –
..و لماذا ؟ –
..لوجود خراج –
...لا بأس :ثم قال ,فنظر العمدة مواجهة
بل جاء بإناء الأدوات المعقمة إلى المنضدة و أخرجها من ..قالها محاولاً أن يبتسم فلم يرد الطبيب على الابتسامة ..الماء بملقط بارد

لقد فعل ..ثم دفع المبصقة بطرف حذائه و انتقل لغسل يديه في الحوض ..كلّ ذلك دون أن يتعجل في حركاته ..غير أن العمدة لم يرفع نظره عنه لحظة ..هذا كله دون أن ينظر على العمدة

الساخن "بالجفت "و ما لبث الطبيب أن وسع قدميه و أمسك الضرس ..السفلي "ضرس العقل "كان المعطوب بيد أنه لم يحدث ,فتشبث العمدة بذراعي الكرسي ة شد على قدميه بكل قوته و هو يشعر بخواء بادر في كليته .. قال ,بل برفق تشوبه المرارة ,و دون ما ضغينة ..و لم يكن يتحرك من الطبيب سوى معصمه ..أي صوت :للعمدة
..!الآن سوف تدفع ثمن قتلانا العشرين –

بيد أنه لم يتنفس إلى أن شعر بخروج ..و امتلأت عيناه بالدموع ,شعر العمدة بقصف كقصف العظام في فكه

و قد بدا غريباً جداً عن الآلام التي كابدها إلى حد أنه عجز عن فهم هذا ..ثم رآه من خلال الدموع ..الضرس العذاب الذي تجرعه مدى الأيام الخمسة الفائتة..

..فك أزرار كسوته الرسمية و مد يده إلى جيب بنطلونه يلتمس منديله ,و بينما انحنى فوق المبصقة عارقاً لاهثاً فأعطاه الطبيب قطعة قماش نظيفة قائلاً:

- امسح دموعك!..

كان هو يتطلع إلى السقف المتآكل الذي يتدلى منه ,كان يرتعد و بينما أخذ الطبيب يغسل يديه ..فعل العمدة هذا و قال له ..و ما لبث الطبيب أن عاد و هو يمسح يديه ..عنكبوت و حشرات ميتة:

- اذهب إلى فراشك ..و "غرغر" بماء مالح..

..و دون أن يزرر سترته ,ثم اتجه إلى الباب باسطاً ساقيه ,و سلم بتحية عسكرية فاترة ,فقام العمدة

و عند الباب قال: إبعث الفاتورة..

- لك, ؟ أو لمكتب الحكومة..

لم ينظر إليه العمدة ,و هو يغلق الباب قال: بل هذا و ذاك سيان, لعنة الله!..